بِـــقَـــرامـــلِ مَـــصْـــفـــوفـــةٍ مـــنْ لُـــؤلـــؤٍ فـــيـــهـــنَّ لَازبْ[١]

ولم يتوقف إلَّا مقدار الكتب بالقلم من دون روية ولا تدبر. ووفد أيضاً إلى صنعاء سنة (١٢١٨)، وكثر اجتماعنا وسمع منِّي رسالتي المسمَّاة (الدرُّ النضيد في إخلاص التوحيد). وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلَّفي المُسمَّى (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) وحصَّل كِلا المؤلفين بخطه. وبالجملة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية والمكاتبات الشعرية ما يكثر سرد بعضه. وقد رقمت بعض ذلك في مجموع شِعري[٢].

٣٠٤

(السيد عَليُّ ابن الإمام المُتوكِّل على اللَّه إسْمَاعيل بن القَاسِم بن مُحمَّد)[٣]

الرئيس الكبير المستقل بغالب اليمن الأسفل. كان له اطلاع على العلوم الأدبية، وتمهَّر في الصناعة الشعرية. ولشعراء عصره فيه غُرر المدائح. وهو من مفاخر اليمن ومحاسن ذلك الزمن، وشعره مشهور عند الناس، ومن جيده القصيدة التي مطلعها: [من المحدث]

أَكَـــذا الـــمُـــشْـــتَـــاقُ يُـــؤَرِّقُـــهُ تَـــغْـــرِيـــدُ الـــوُرْقِ وَيُـــقْـــلِـــقُـــهُ[٤]

ومن أحسن قوله فيها:

آهٍ يـــا بَـــرْقُ أمـــا خَـــبَـــرٌ عـــنْ أهـــلِ الـــغَـــوْرِ تُـــحـــقِّـــقُـــهُ
فَـــنُـــزيـــلُ جَـــوًى لأســـيـــر هَـــوًى مُـــضْـــنًـــى قَـــدْ طـــالَ تَـــشـــوُّقُـــهُ

ومن أَحسن شعره الأبيات هذه: [من الوافر]

أَيـكـتـمُ مـا بـهِ الـصَّـبُّ الـمَـشُـوقُ وَقـدْ لَاحـتْ لـه وَهْـنـاً بُـروقُ[٥]
وَهـلْ يـخـفَـى الـغـرامُ عـلـى وَلـوعٍ يُـؤرّقُ جَـفْـنَـهُ الـبـرقُ الـخَـفـوقُ[٦]
وَيَـسْـلـو عـن أُهـيْـلِ الـجِـزْعِ صَـبٌّ جَـرَى مـن جَـفْـنِ عَـيْـنَـيْـهِ الـعَـقـيـقُ[٧]

(١) القرامل: ضفائر من الشعر تصل بها المرأة شعرها. لازب: ثابت.
(٢) توفي سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م.
(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٧؛ الأعلام: ٤/ ٢٦٥.
(٤) يُؤرقه: يُسهره. الوُرْقُ: الحمائم.
(٥) الصّبُّ: العاشق الشديد الشوق. لاحت: بدت وظهرت. الوهن، والموهن: ما بعد منتصف الليل، أو بعد ساعة منه.
(٦) ولوعٌ: كثير الولع: كثير التعلّق بمن يُحبّ. الخفوق: المضطرب.
(٧) يسلو: ينسى المحبوب مع طيب نفسٍ بفراقه. الجزع: منعطف الوادي. وكنى الشاعر بالعقيق عن امتزاج دمعه بالدم.

إليكَ إليكَ عنّي يا عَذُولي فَلستُ من الصَبابةِ أستفيقُ[١]
فَلي قلبٌ إلى باناتِ حَزْوَى طَروبٌ لا يملُّ ولا يُفيقُ[٢]

وقد كتب إلى والدِه قصيدةً لما صُدّ الركب اليماني عن الحجّ سنة (١٠٨٨)[٣] يحثّه على الجهاد ومطلعها: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ لَيْس يُدْرَكُ بالتَّواني ولا بالعَجْزِ غاياتُ الأَماني[٤]

وهي غاية في بابها. وكانت بينه وبين المهدي مُحمَّد بن أحمد صاحب المواهب منافسة على الملك والبلاد قبل أن يلي المهدي الخلافة، واتفقت بينهما حروبٌ وفِتنٌ كبيرة، ومن سعادته أنه أدركه الأَجل قبل أن يلي المهدي الخلافة، فمات في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان سنة ١٠٩٦ ستٍّ وتسعين وألف، بمدينة أب، وقبرُه بها.

٣٠٥

(عَليُّ بن إسْمَاعيل بن يُوسُف القونوي علاء الدين الشَّافعيّ)[٥]

ولد بقونية من بلاد الروم سنة ٦٦٨ ثمانٍ وستين وستمائة، وقدم دمشق سنة (٦٩٣) فدرَّس بالإقبالية، ثم قدم القاهرة فسمع من جماعة كأبي الفَضْل بن عَسَاكر، وابن القيِّم، والدمياطي، وابن الصوَّاف، وابن دَقِيق العيد. وقرأ في الأصول على تاج الدين الجيلاني، وتقدّم في معرفة التفسير والفقه والأصول، وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة يُصلي الصبح جماعة، ثم يقرأ إلى الظهر، ثم يصليها ويأكل في بيتِه شيئاً ثم يتوجه إلى زيارة صاحب، أو عيادة مريض، أو شفاعة أو تهنية أو تعزية، ثم يرجع ويشتغل بالذكر إلى آخر النهار. وكان السلطان الناصر يعظمه ويثني عليه، ثم ولَّاه قضاء دمشق، فتوجّه إليها في سنة (٧٢٧) فباشره أحسن مباشرة مع تصلُّب زائد، وعفّةٍ لم يكن له في الحكم نهمة، بل هو على عادته في الإقبال على العلم. وكان كثير

(١) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
(٢) بانات: شجرات بان، وكنى بها عن نسوة يشبهن أغصانها في الاستواء واللين والتثنّي. حزوى: موضع. طروب: كثير الطرب، وهو هِزّة تأخذ الإنسان من حزنٍ أو فرح.
(٣) قيل: إن الرسالة كانت سنة ١٠٨٣هـ، لأن والد المترجم له كان قد توفي سنة ١٠٨٧هـ كما تقدم.
(٤) التواني: الفتور والكسل والإبطاء.
(٥) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٧؛ الدرر الكامنة: ٣/ ٢٤؛ البداية والنهاية: ١٤/ ١٥٣؛ شذرات الذهب: ٦/ ٩٠؛ بغية الوعاة: ٣٢٩؛ كشف الظنون: ٤١١، ٤٢٠؛ هدية العارفين: ١/ ٧١٧؛ الأعلام: ٤/ ٢٦٤.